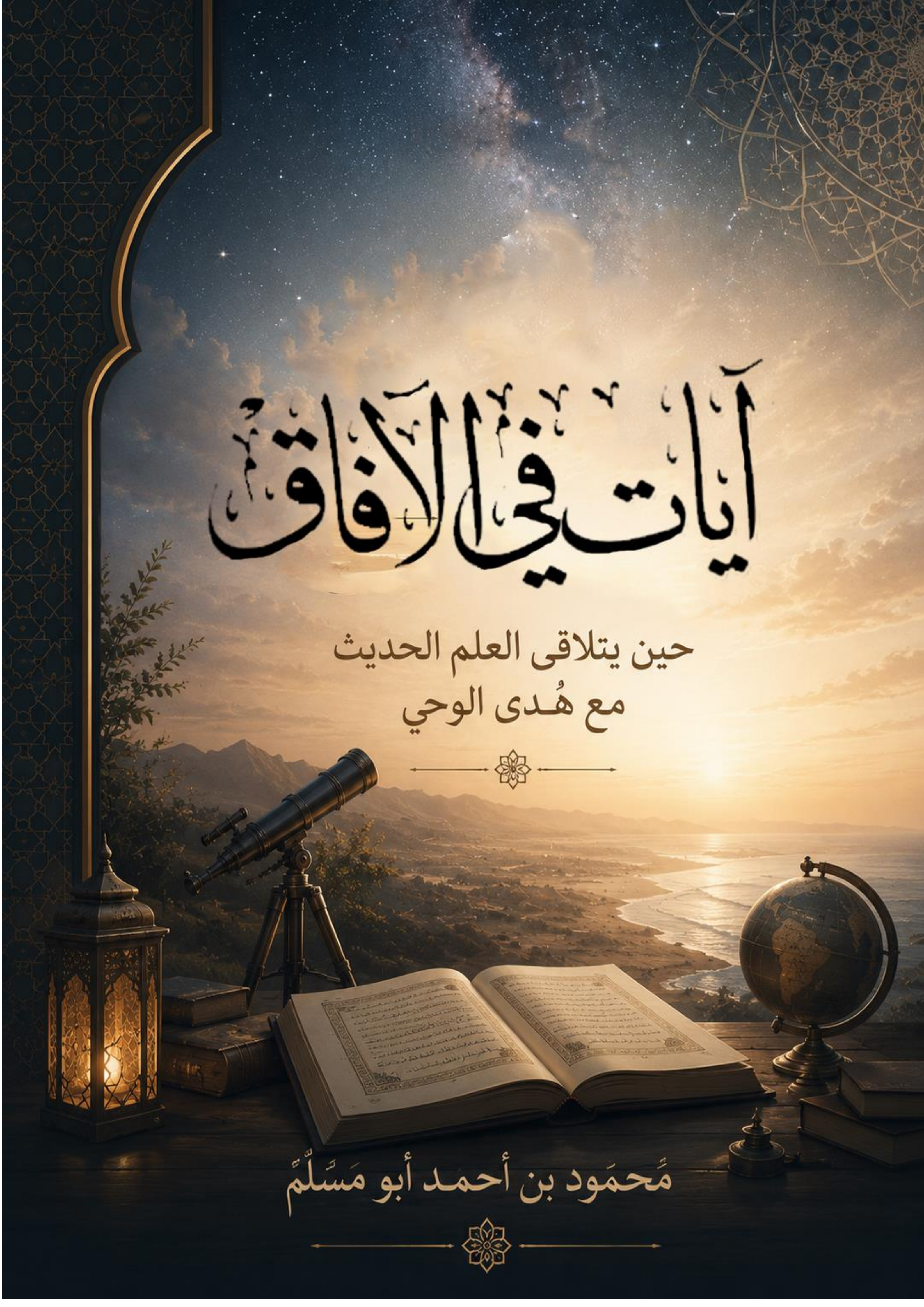

آيات في الآفاق

حين يتلاقى العلم الحديث
مع هُـدى الوحي

مَحمَود بن أحمد أبو مَسَلّمَ

"آيات في الآفاق:

حين يتلاقى العلم الحديث مع هُدى الوحي"

الحمد لله وحده، وبعد:

فإن أبرز ما يميز هذا الزمان هو **الضجيج والزخم**؛ ضجيج الأصوات المتداخلة بين الحق والباطل، بين الجهل والعلم، وزخم المعلومات التي تتدفّق بلا تمحيص، حتى اختلطت الحقائق بالأوهام، والتبس الأمر على كثير من الناس في دينهم ودنياهم.

وما زاد الإشكال أن قراءة كتاب متكامل، أو الرجوع إلى أصل موثوق يصحّح المفاهيم، قد أصبح عبئًا شاقًا في عصر السرعة، لا يكاد يفعله إلا القليل النادر.

لذلك قد رجوت الله أن يكون هذا المقال محاولة مخلصة في **الجمع بين العلم والإيمان**، بأسلوب سلس رشيق، يُعيد إلى القارئ بصيرته في زمن التيه، ويُغذي يقينه بأحدث ما توصّل إليه العلم الحديث، ليبصر كيف أن الوحي لا يصادم العقل، بل يرعاه ويهديه.

وليس هذا المقال محاولةً لتحويل الإيمان إلى مادة ملموسة، أو تكلفًا لإثبات ما غاب عنا من الغيب، وإنما هو مقاربة نظرية تقرّب ما قد يراه بعض الناس مستحيلاً في قدرة الله، وقد أرانا الله شيئًا من ذلك في قوله تعالى: {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ}. وكذلك فليس هذا المقال قاطعًا بصحة ما تذهب إليه بعض النظريات العلمية، ولا هو ليٌّ لآيات القرآن لتوافقها، بل هو أقرب إلى محاولة تدبّر وتأمل واعتبار، جاءت نظائرها عند السلف، سواء باجتهادهم أو بما نُقل إليهم من أخبار، دون جزم بصحة ما ذهبوا إليه. وإنما هو السعي الذي أمرنا الله به، أن نسير في الأرض وننظر، ونتفكر ونتأمل، عسى أن نزداد يقينًا بأن الوحي هدىً ونور.

1- "ما لا يخبرنا به العلم: لماذا نؤمن؟"

لم يشهد الإنسان عبر تاريخه انكشافًا لحقائق الكون كما يشهد اليوم؛ فالعلم الحديث قد استطاع أن يفسر نشأة المجرات، وولادة النجوم، وسلوك الجسيمات تحت الذرية، وحتى تركيب الدماغ البشري وتعقيد وعيه.
غير أن سؤالًا عميقًا لا يزال معلقًا دون إجابة: لماذا كل هذا النظام؟ لماذا هذا الانسجام؟ لماذا الوجود أصلًا؟

العلم، بطبيعته، لا يبحث في "الغاية"، بل في "الآلية". إنه يفسر كيف يعمل النظام، لكنه لا يجيب عن **لماذا** وُجد من الأصل. من الذي وضع قوانينه؟ وعندما يحاول أن يتجاوز ذلك الحد، فإنه يتجاوز وظيفته ويتحول إلى فلسفة.

لقد ظن بعضهم أن اتساع المعرفة يغني عن الإيمان، لكن الحقيقة أن العلم كلما اتسع ضوءه، زادت الحاجة إلى تفسير أعمق وراءه، وظهر جليًا أن هذا الكون لا يشرح نفسه بنفسه، ولا يمكن لعقل سوي أن يقبل أن يكون بهذه الدقة... من غير مُدبِّرٍ حكيم.
وإذا كانت أدوات العلم قد وصلت إلى أعماق الذرة وأطراف الكون، فإن الوحي قد سبق إلى قلب الإنسان، يخاطب فيه فطرته، ويوقظ فيه نداء البحث عن الخالق، في توازن بديع بين البيان والبرهان.

هذا المقال هو محاولة للجمع بين نصوص الوحي وشهادات الواقع، بين العقل المجرِّب والقلب المتدبِّر، لنرى كيف أن الدين الحق لا يصطدم بالعلم، بل يمهِّد له الطريق، ويكشف الغاية من ورائه.

2- "الفاين تيوننج": حين يتكلم الكون بلغة التصميم

إذا أردت أن تفهم مدى دقة هذا الكون، ففكر في أن الجاذبية – تلك القوة التي تُبقيك على الأرض وتربط الشمس بالكواكب – لو اختل مقدارها **بجزء واحد من 10^{60}** (واحد أمامه 60 صفرًا)، لما تكوّنت النجوم أصلًا.
فكر أيضًا في القوة النووية الضعيفة، التي تحكم تفاعلات الذرات، لو زادت أو نقصت بنسبة ضئيلة، لما تشكلت ذرة واحدة من الهيدروجين، ولا كانت هناك شمس أو ماء أو إنسان.

هذا ما يُعرف علميًا بـ"الضبط الدقيق" أو **Fine-Tuning**، وهي نظرية تقول:

"إن ثوابت الطبيعة - كسرعة الضوء، وثابت الجاذبية، ونسبة المادة إلى الطاقة - تم اختيارها بدقة متناهية، ولو اختلت مقدارًا طفيفًا لما صلح الكون كله للحياة وليس الأرض فحسب.."

أمثلة "الفاين تيونج" (Fine-Tuning) في الكون كثيرة ومدهشة، وهي ما يُشير إليه العلماء بالثوابت الكونية التي لو اختلت بنسبة ضئيلة جدًا لما أمكن للحياة أن توجد. ومنها:

قوة الجاذبية (Gravitational Constant – G)

لو زادت الجاذبية بمقدار **جزء واحد من 10^{40}** ($1/10^{40}$)، لتجمّع الكون على نفسه فورًا بعد الانفجار العظيم.

ولو قلت بمقدار مماثل، لما تكوّنت النجوم والكواكب أصلًا.

النسبة بين القوى الكهرومغناطيسية والقوى النووية

التوازن بين القوة الكهرومغناطيسية والقوة النووية الضعيفة هو ما يسمح بتكوين العناصر في النجوم.

أي انحراف طفيف في هذه النسبة يؤدي إلى كون لا يحتوي على الكربون أو الأكسجين... وهما أساس الحياة.

سرعة التمدد الكوني (Cosmic Expansion Rate)

ثابت هابل (Hubble Constant) هو الذي يتحكم في معدل توسع الكون.

لو كانت السرعة أبطأ قليلاً، لانكمش الكون على نفسه.

ولو كانت أسرع، لتمدد بسرعة مفرطة تمنع تكوّن المجرات.

الطاقة المظلمة (Dark Energy Constant)

الطاقة المظلمة تُسرّع من توسع الكون.

التقديرات تقول إن مقدارها مضبوط بدقة تصل إلى **1 من 10^{12}** -أي أن تغيرًا ضئيلًا جدًا يؤدي إلى كون خالٍ تمامًا من البُنى.

نسبة الكتلة بين البروتون والنيوترون

الفرق بين كتلة البروتون والنيوترون هو ما يسمح بتكوين ذرات مستقرة.

لو كان النيوترون أثقل أو أخف بنسبة بسيطة، لما استقرت الذرات.

نسبة الإلكترون إلى البروتون

هذه النسبة مهمة لضمان استقرار الذرات.

لو كانت مختلفة، لانهار توازن القوى داخل الذرة، ولم تتكون الجزيئات العضوية الضرورية للحياة.

الحرارة الابتدائية للانفجار العظيم (Initial Entropy)

الكون بدأ في حالة اتزان حراري عجيب.

الفيزيائي **روجر بنروز** (Roger Penrose) قدّر احتمال حدوث ذلك بـ 1 إلى 10^{n}، حيث $n = 10^{n0}$ (رقم خيالي)، وقال إنه احتمال "أقرب إلى الاستحالة من الناحية الرياضية".

كل هذه الثوابت لم يكن لوجودها سبب "فيزيائي داخلي" معروف، بل تم اختيارها كما لو كانت **مضبوطة مسبقًا بدقة تامة**. لذلك كتب الفيزيائي بول ديفيز:

"يوجد الآن اتفاق واسع بين الفيزيائيين وعلماء الكون على أن الكون مضبوط بدقة من عدة أوجه لاحتضان الحياة.

لكن الاستنتاج الأهم ليس أن الكون مضبوط بدقة من أجل الحياة ذاتها، بل من أجل اللبنات الأساسية والبيئات التي تتطلبها الحياة

كما وصف هذا الوضع بقوة:

"يبدو وكأن هناك من قام بضبط أرقام الطبيعة بدقة من أجل صنع هذا الكون...
الانطباع بوجود تصميم مقصود مذهل بحق."

وهكذا يعكس ديفيز موقفًا علميًا راقٍ: لا إنكار للعشوائية فحسب، ولكن الاعتراف بأن القيم الدقيقة لتلك الثوابت تشير إلى وجود **نظامٍ ذكي** وراء هذا الكون.

وهذا بالضبط ما يقوله القرآن: **"صنع الله الذي أتقن كل شيء"** [النمل: 88] **"وخلق كل شيء فقدّره تقديرًا"** [الفرقان: 2]

الكون كما ذكرنا لا يشرح نفسه. قوانينه ثابتة، ولكنه ليس أبديًا. والأعجب: أن هذا الكون يبدو كأنه صُمم ليُدرك، وكأن العقل الإنساني خُلق ليتفاعل معه. أليست هذه إشارة من الخالق إلى عباده أن يتأملوا، يفهموا، فيؤمنوا؟

3- العلم يكتشف ما هو موجود... لا ما هو مقصود

اليوم، يسير العلماء فعلًا في الأرض، بل وفي الفضاء. يحاولون بشغف فك ألغاز "البداية"، لا سيما ما قبل الانفجار العظيم (Big Bang).
يقول الفيزيائي الشهير **ستيفن هوكينغ** (Stephen Hawking): "قبل الانفجار العظيم لا يوجد شيء. ليس هناك زمن. لا وجود للفيزياء."
لكنه في موضع آخر يقول: "يبدو أن الكون وُجد دون سبب، أو ربما نحن فقط لا نعرف السبب بعد."

وهذا رأي هوكنج ومن وافقه، ومعلوم أنه لا يوافق عليه كل الفيزيائيين، فروجر بنروز مثلا الفيزيائي البريطاني Roger Penrose يرى أن للكون مرحلة سابقة لما نعرفه، فيما يرى آخرون أن هذا السؤال مفتوح، ينتظر أدوات فيزيائية أعمق.

يقول ألكسندر فيلينكين – أحد موقّعي نظرية BGV – بالعبارة الإنجليزية:

"**All the evidence we have says that the universe had a beginning**."

أي : **"كل الأدلة التي لدينا تشير إلى أن للكون بداية."**

وقد أوضح كذلك أن جميع السيناريوهات التي تُفترض كونًا أبديًّا من الماضي تفشل في وصف توسع الكون، مما يقود إلى نفس الاستنتاج العلمي كما عبّر الفيزيائي النظري **ميشيو كاكو** في سياق تأمله في كتابه The God Equation، قائلاً:

"الكون رائع... كان من الممكن أن يكون مجرد ضباب من الإلكترونات والفوتونات، ولكنه ليس كذلك."

وهذا التوصيف العلمي يشير بوضوح إلى أن الكون لم يُخلق بلا هدف أو عشوائية، بل يعكس نظامًا محكمًا ومنسجمًا توحي بمدبر حكيم.

إن أعظم عقول الفيزياء تقف اليوم على أعتاب الأسئلة الكبرى التي طالما حملتها الفطرة الإنسانية: من أين جئنا؟ ولماذا نحن هنا؟ وهذه الأسئلة، لا تجيب عنها المعادلات، بل تستنير بنور الوحي.

ومن ذلك الوحي قول النبيّ صلى الله عليه وسلّم:

«**كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء**» (رواه البخاري، كتاب بدء الخلق، حديث رقم 2953).

كما قال تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ**﴾ [الأنبياء: 30].

لتعلم أن أي مهمة لاستكشاف الكواكب والأقمار الآن، شعارها الأساسي "اتبع الماء"

– Follow The Water وهاتان الإشارتان – الحديث والآية – تضعان الماء في موضع جوهري في بنية الخلق والحياة. فالحديث يدل على أن الماء عنصر قديم في مشهد الوجود قبل خلق السماوات والأرض، بينما الآية تقرر أن الحياة لا تقوم إلا به.

أما العلم الحديث، فقد اتجه في العقود الأخيرة إلى اعتبار **الماء هو المفتاح للبحث عن الحياة خارج الأرض** .فقد نشرت وكالة الفضاء الأمريكية (NASA) في تقاريرها عن "عوالم المحيطات" أن كل بحث

عن إمكانية الحياة في الكون يبدأ بالبحث عن الماء السائل، لأنه الشرط الأساسي الذي لا غنى عنه لكل الأنظمة البيولوجية المعروفة.(NASA, Ocean Worlds, 2025)

وفي دراسة منشورة بعنوان Water in the Universe (ResearchGate, 2010)، خلص الباحثون إلى أن الماء موجود على نطاق واسع في الكون، في شكل بخار وجليد وسوائل محتملة، وأنه عنصر أساسي في تكوين الكواكب وظروف الحياة.

إذا وضعنا هذه النصوص الشرعية بجانب الاكتشافات العلمية الحديثة، يظهر أن **النصوص الإسلامية نبهت منذ قرون إلى مركزية الماء في الحياة،** في وقت لم يكن فيه البشر يدركون هذه الحقيقة الكونية. فالرسول ﷺ – وهو الأمّي الذي عاش في بيئة صحراوية شحيحة بالماء – لم يكن ليأتي بمثل هذا التصور العميق عن "الماء أصل الحياة" من تلقاء نفسه، وهو ما يجعل المنصفين أمام سؤال جاد: من أين له هذا العلم الغيبي؟

خاصة أن نشأة الكون في القرن السابع في عصر رسول الله كانت بطرق أسطورية: صراع آلهة، بيضة كونية، أو فوضى بدائية. لم يوجد أي نص معروف بيقول ببساطة إن الماء أصل الحياة بهذه الصيغة المباشرة.

فظهور جملة مثل: "جعل من الماء كل شيء حي" أو الإشارة إلى وجود الماء في بداية الخلق، تعتبر قفزة معرفية غير معتادة بالمعايير التاريخية.

4- المعجزات والعلوم... بين التصديق والتفسير

لم تكن معجزات الأنبياء كسراً للمنطق، بل كسرًا لنواميس الزمان والمكان بقوة خارجة عن إدراك البشر.
واليوم، في عصر الذرة والليزر والكم، لم يعد من الصعب تخيُّل ما كان في الأمس معجزة.

خذ الذرة مثالًا. منذ قرون، لم يكن أحد يتخيل أن المادة يمكن أن تنقسم إلى أجزاء غير مرئية.
لكن القرآن أشار بوضوح إلى أن ما نراه **ليس نهاية الدقة**، فقال:

"وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، إلا في كتاب مبين" [يونس: 61]
وهذه الآية وحدها تُعد سبقًا علميًا مدهشًا، في وقت لم يكن فيه الإنسان يعرف شيئًا عن الذرات، فضلًا عن الجسيمات تحت الذرية (ك: الإلكترون، الكوارك، النيوترينو).

واليوم، نعرف أن تفكيك الذرة يحرر طاقة هائلة، كما في القنبلة النووية.
وقد تكلم بعض علماء المسلمين الأوائل عن "الطاقة المحبوسة" داخل الأجسام، كما فعل **الطوسي** حين قال:"كل جسمٍ فيه قوة لو تحررت لغيرت شكل العالم."
وهو ما أثبتته الفيزياء الحديثة بتجربة تفجير "هيروشيما" و"ناجازاكي".

أما معجزة عرش بلقيس، حيث قال الرجل الذي عنده علم من الكتاب "أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك" [النمل: 40]فإنها تذكّرنا اليوم بما يُعرف علميًا بالانتقال الكمومي

(Quantum Teleportation)، وهي تقنية تمكّن من نقل معلومات حالة جسيم (كميًّا) إلى موقع آخر دون انتقال الجسيم نفسه عبر الفضاء، بل عبر تشابك كمومي مع جسيم آخر.

وهنا تجدر الإشارة إلى أن هذا ليس تطابقًا، بل تشبيهٌ تقريبي، الغرض منه الإيضاح لا المطابقة التامة؛ لأن النقل الكمومي الحالي يخص المعلومات الكمومية، ولا يطال حتى الآن الجسيمات الكبرى أو الكيانات الفيزيائية المادية كالأجسام الصلبة. ومع ذلك، لا ينفي العلم الكمومي المعاصر احتمال تطور هذه التقنية أو وجود ظواهر مشابهة على نطاقات لم تُكتشف بعد.

بل إن مجلة Nature و Physical Review Lettersقد نشرتا منذ 2020 تجارب متقدمة نجحت في نقل معلومات كمومية بين ذرات وفوتونات على مسافات تزيد عن 20 كيلومتر، ما يُعزز من فهم آليات النقل عن بُعد دون وسيط مادي مباشر.

وبهذا يصبح هذا "التشبيه" بين المعجزة والنقل الكمومي، محاولة للتقريب الذهني لا أكثر، تُظهر أن ما كان يبدو مستحيلًا في زمنٍ ما، بات اليوم أقرب إلى الفهم العلمي، دون أن يُلغي كونه معجزة خارقة في زمنها

فهذا الرجل الذي عنده علم الكتاب، ربما فهم ما لم يفهمه علماء اليوم عن هذا المجال. والله أعلم..

.هل العلم اليوم يرفض هذا؟ بالعكس، هو الذي يقترب من فهمه أكثر فأكثر.

5- المعراج بين الغيب والفيزياء النظرية

في حديث الإسراء والمعراج الصحيح، قال ﷺ:
"**ففتح لنا، فإذا أنا بآدم**" [رواه البخاري ومسلم]،
وفي حديث مسلم الآخر: "**هذا باب من السماء فتح اليوم**"،
وفي حديث النسائي عن صعود الروح: "**حتى يأتون به باب السماء**".

هذه الألفاظ ليست مجازًا لغويًا فحسب، بل تدل على **فتحٍ حقيقي** ووجود "أبواب" في السماء. والسؤال: كيف نفهم هذه الأبواب اليوم بلغة العلم الحديث؟

الثقوب الدودية: أبواب بين الأبعاد؟

حين صاغ **ألبرت آينشتاين** معادلاته في **النسبية العامة1915**)، اكتشف مع رياضي يُدعى **ناثان روزن** (Einstein–Rosen bridge) أن هذه المعادلات تسمح بوجود ممرات أو "أنفاق" تختصر المسافات بين نقطتين في الكون. سُمّيت لاحقًا بـ **الثقوب الدودية**.(**Wormholes**)

العالم **كيب ثورن** – (**Kip Thorne**) الحائز على نوبل – كتب في كتابه Black Holes & Time Warps (1994) أن الثقوب الدودية تمثل "أبوابًا كونية محتملة"، لكنها غير مستقرة عمليًا إلا إذا وُجدت مادة غريبة تمنع انهيارها.

أما **ستيفن هوكنغ** (**Stephen Hawking**) فشبّهها بـ"أنفاق زمنية" قد تسمح بالسفر عبر الزمن، وذكر في كتابه (2001) The Universe in a Nutshell أن الرياضيات لا تمنع وجودها، لكن الفيزياء الواقعية لم تثبتها بعد.

إذن، تعبير النبي ﷺ عن "فتح الباب" قد لا يكون مجرد استعارة، بل توصيف لواقع غيبي، له ما يقابله في **إمكانات الفيزياء النظرية.**

الأبعاد الخفية ونظرية الأوتار

الفيزياء الحديثة أيضًا لا تقف عند حدود أبعادنا الأربعة (الطول والعرض والارتفاع والزمن).

نظرية الأوتار الفائقة (**String Theory**) تقول إن الكون قد يحتوي على **10أو 11 بُعدًا**، لكننا لا نرى منها سوى الأربعة.

الأبعاد الأخرى "مطوية" أو "ملتفة" حول نفسها بطريقة دقيقة جدًا لا نستطيع إدراكها.

وهذا يُضيء لنا قوله تعالى: "**إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم**" [الأعراف: 27].
فقد تكون هناك مخلوقات – كالملائكة والجن – تتحرك في مستويات وأبعاد لا ندركها، لكنها تدركنا.

فلم يعد المعراج مجرد حادثة غيبية بعيدة، بل احتمالًا فيزيائيًا ضمنًا في بنية الكون، يشهد للنبوة بدل أن يعارضها.

فإذا كان العلماء اليوم يناقشون "بوابات" و"أبعادًا" و"أنفاقًا" لا نراها، فكيف نعجب أن نبيًا أُسري به في لحظات إلى السماوات العُلا عبر "باب مفتوح"؟

ولعل هذا من تمام قوله تعالى:

"سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ" [فصلت: 53].

فالآيات في "الآفاق" قد تكون هذه الاكتشافات العلمية التي تلمّح إلى أبوابٍ وأبعادٍ خاضعة لقدرة الله، ربما يكتشفها البشر، وربما يرون عليها دلالات وإشارات، ليظل الإيمان بأن الله على كل شيء قدير هو الأصل الذي تستند إليه العقول والقلوب..

6- الوعي الكوني... فكرة تتقدّم بثبات

من أكثر النظريات إثارة للجدل في السنوات الأخيرة فكرة **الوعي الكوني (Cosmic Consciousness)**، أو ما يُعرف فلسفيًا بـ **panpsychism**، وهي ترى أن الوعي ليس حكرًا على الكائنات الحية، بل "صفة أولية" في نسيج الكون ذاته، مثل الكتلة أو الشحنة، حاضرة بدرجات متفاوتة حتى في المادة الجامدة.

ورغم أن هذه النظرية ما تزال في طور الفلسفة العلمية، ولم تُقبل كإجماع علمي، إلا أنها بدأت تشق طريقها تدريجيًا إلى عقول فلاسفة وعلماء كبار، تجاوزوا النموذج المادي التقليدي، واقترحوا أن الوعي قد يكون مكوّنًا بنيويًا في الواقع ذاته، لا مجرد إفراز ثانوي لنشاط الدماغ.

فالفيزيائي الحائز على نوبل **روجر بنروز (Roger Penrose)** صرّح قائلًا:

"يمكنني القول بأن للكون غاية في معنى محدد. فهو ليس موجودًا مجردًا بالصدفة."

وقد جاءت هذه الرؤية ضمن سياق طرحه لنظرية **Orchestrated Objective Reduction (Orch-OR)**، التي ترى أن الوعي مرتبط بانهيار الحالة الكمومية في بنية الزمكان ذاته، لا في الدماغ فقط.

وعلى المنوال ذاته، يرى عالم الأعصاب الشهير **كريستوف كوك** **(Christof Koch)** أن الوعي ليس مقتصرًا على الإنسان، بل يمكن أن يظهر في أي نظام يعالج المعلومات بتكامل كافٍ. إذ يقول:

"الوعي يظهر في أي نظام لديه قدرة متكاملة كافية على معالجة المعلومات."

وهذا هو جوهر **نظرية التكامل المعلوماتي – Integrated Information Theory (IIT)**، التي تقيس الوعي بمؤشر يُدعى **فاي**(**Φ**))، وهو رقم يحدد مدى تعقيد وترابط المعلومات داخل أي نظام – سواء كان بيولوجيًا أو غير بيولوجي.

هذه الرؤى، رغم اختلاف منطلقاتها، تتقاطع في الإشارة إلى أن الوعي قد لا يكون عرضًا طارئًا، بل خاصية أولية عميقة في بُنية الوجود، وهو ما يلتقي – بوجهٍ من الوجوه – مع قوله تعالى:
"وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ" [الإسراء: 44].

ونسب الله الإرادة للجدار في قوله **تعالى "فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ"**

وكما جاء في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: "إني لأعرف حجرًا بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث" [رواه مسلم].
وقال ﷺ عن جبل أُحد: "هذا جبل يحبنا ونحبه" [رواه البخاري].
وهي شواهد على أن للجمادات نوعًا من الإدراك يليق بخلق الله.

ورغم أن هذه النظريات لم تُثبت تجريبيًا حتى الآن، فإن نفيها لم يعد بالبساطة التي كان عليها في السابق، خاصة مع تراكُم شواهد علمية تشير إلى سلوك منظم في المادة غير الواعية ظاهريًا.

ففي عام 2019، نشرت مجلة **Nature Astronomy** بحثًا للفيزيائي **Luciano Rezzolla** (جامعة فرانكفورت)، اقترح فيه نماذج لفهم "الترتيب الذكي" في نشاط الشمس، يُرجّح وجود تنظيم داخلي معقّد في بعض الأجرام السماوية.

كما توصّلت الباحثة **Monica Gagliano** في تجاربها على النباتات إلى أن النبات يستجيب للأصوات ويتجه نحو الموسيقى الإيجابية، بل ويصدر ذبذبات صوتية للتواصل، ما يشير إلى أن الحياة – حتى على مستوى النبات – ليست صامتة كما كنا نظن.

فهذه المعطيات تجعل من فكرة "الوعي الكوني" – على ما فيها من جدل – بابًا للتأمل في معنى الآية مرة أخرى: ﴿**وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ**﴾، فإذا كان العلم يلمّح اليوم إلى "إدراك" أو "تنظيم" في الجمادات والنباتات، فإن النص القرآني قد سبق فدلّ على أن كل شيء في الكون له نصيب من الحياة والشعور بقدر ما أراد الله له.

7- وعي الإنسان لا ينطفئ بالموت

من المجالات التي قلبت المفاهيم رأسًا على عقب: **أبحاث ما بعد الموت السريري** (**Near Death Experiences – NDEs**)، والتي أظهرت أن الإنسان لا يفقد وعيه لحظة توقف القلب كما كان يُعتقد.

في دراسة موسعة نُشرت عام 2014 في **Resuscitation Journal** بقيادة الدكتور **Sam Parnia** (جامعة نيويورك)، تمت متابعة 2060 حالة توقف قلب، وأفاد 46% من الناجين بأنهم كانوا واعين تمامًا لما يحدث حولهم، بل وصف بعضهم بدقة ما قاله الأطباء في غرفة الإنعاش، رغم أن قلبه ودماغه كانا متوقفين!

وفي دراسة أخرى نُشرت في **Canadian Medical Association Journal (CMAJ)**، تبين أن موجات الدماغ تتنشط فجأة بعد الموت السريري، وأن **حاسة السمع** تبقى نشطة لبضع دقائق بعد توقف القلب.

وهذا ما أشار إليه الحديث النبوي قبل 14 قرنًا:

"وإنه ليسمع قرع نعالهم حين يولّون عنه" [البخاري ومسلم]،

أي أن الميت يسمع خطوات من يغادرون قبره، مما يؤكد أن الإدراك لا ينطفئ لحظة الموت.

الوعي بين الدماغ والروح

يحاول بعض العلماء اليوم تفسير هذه الظواهر عبر ما يُعرف بـ **نماذج الدماغ الكمي (Quantum Brain Models)**، وهي مقاربات ترى أن الوعي ليس مجرد إشارات كهربائية في الخلايا العصبية، بل قد يرتبط بظواهر كمومية دقيقة تحدث في البروتينات المجهرية داخل الخلايا العصبية. وقد طرح هذه الرؤية **بنروز** بالتعاون مع الطبيب **Stuart Hameroff** في نظرية **Orch-OR**، معتبرين أن لحظات "الإدراك الواعي" تحدث عندما تنهار حالة كمومية معينة في الدماغ.

لكن النص القرآني وضع الأمر في إطاره الأوسع:

"وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا" [الإسراء: 85].

فالوعي، في أعمق معانيه، متصل بالروح، والروح من أمر الله. ولذلك مهما تقدّم البحث العلمي، سيبقى إدراكنا لجوهر الوعي محدودًا. وما تكشفه الفيزياء العصبية أو الدراسات الطبية الحديثة ليس إلا إشارات سطحية لحقائق أعمق من إدراك البشر.

وقد جاء في الحديث الصحيح:

"الأرواح جنود مجنّدة، فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف" [رواه البخاري ومسلم]،

مما يدل على أن للروح نظامًا خاصًا لا تدركه أدوات العلم المادي.

تتضافر اليوم الفلسفة والفيزياء وعلوم الأعصاب لتقول شيئًا واحدًا:

الوعي أعقد من أن يُفسَّر بأنه مجرد نتاج كيمياء الدماغ.

قد يكون الوعي خاصية كونية، كما في.panpsychism

وقد يستمر حتى بعد توقف القلب، كما في دراسات.NDEs

ويبقى مرتبطًا بالروح، كما صرّحت النصوص الشرعية.

وهذا كله يجعلنا نفهم عمق الآية: "**أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**" [فصلت: 53].
فالوعي – في الأرض أو في السماء، في الحياة أو بعد الموت – ليس صدفةً عمياء، بل من دلائل حضور الله في كل شيء.

.8- المادة لا تفنى... والبعث ليس مستحيلاً علميًا

من المبادئ العلمية الراسخة أن **المادة لا تفنى ولا تُستحدث من عدم**، كما تقرر قوانين الديناميكا الحرارية.
وهذا يعني أن جسد الإنسان بعد موته لا يختفي، بل يتحول إلى أشكال أخرى من المادة، تندمج مع عناصر الكون دون أن تفقد وجودها الحقيقي.

بل حتى في أكثر الظواهر غموضًا، كالثقوب السوداء التي تبتلع كل شيء – حتى الضوء – لم يسلَم من قانون "عدم فناء المادة".
فقد أكد الفيزيائي **ستيفن هوكينغ** أن **المعلومة الفيزيائية لا تضيع حتى داخل الثقب الأسود**، بل تبقى محفوظة بطريقة ما، وفقًا لما يُعرف اليوم بـ**"مفارقة هوكينغ للمعلومة".**

فإذا كانت المادة لا تفنى حتى في أعقد ظروف الكون، فإن **إعادة بناء جسد الإنسان ليست مستحيلة علميًا**، مادامت عناصره ما تزال قائمة.

وقد أشار القرآن إلى هذا المعنى في ردّ ساخر على منكري البعث:

"أئذا متنا وكنا ترابًا وعظامًا أإنا لمبعوثون؟"
فكان الجواب: "**قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم**" [يس: 79] "**وهو أهون عليه**" [الروم: 27]

فإعادة الشيء أيسر من خلقه أول مرة، ولله المثل الأعلى.
لكن البعث ليس مجرد تجميع للعناصر المادية، بل **إحياء للروح والجسد معًا**، وهنا يقف العلم عند عتبة المادة، ويسلم الإيمان بمقام الروح.

إننا حين نتأمل هذه الحقائق، ندرك أن **العلم لم يعد خصمًا للبعث، بل بات شاهدًا عليه،** وأن الموت ليس فناءً، بل انتقالٌ في دورة محكمة، تحفظ فيها المادة، وتُستدعى يومًا، بقوة من لا يعجزه شيء.

"كما بدأنا أول خلق نعيده، وعدًا علينا، إنا كنا فاعلين" [الأنبياء: 104]

9- مادة وطاقة الكون: ما نراه وما لا نراه

حين ننظر إلى السماء ليلًا، نظن أننا نرى معظم الكون: نجوم، كواكب، مجرات. لكن الفيزياء الحديثة تقول لنا إن كل هذا المشهد البديع – من أصغر نجم إلى أضخم مجرة – لا يمثل أكثر من **5% فقط** من مادة الكون.

أما الـ **95% الباقية** فهي مجهولة الهوية:

27% مادة مظلمة: (Dark Matter) لا تبعث ضوءًا ولا تمتصه، لكنها تمسك المجرات كما يمسك الغراء أجزاء البناء.

68% طاقة مظلمة: (Dark Energy) قوة غامضة تدفع الكون إلى التمدد والتسارع.

العالم الفيزيائي **فريتز زويكي (Fritz Zwicky)** كان أول من لاحظ عام 1933 أن حركة المجرات لا تتفق مع كمية المادة المرئية فيها، فافترض وجود "كتلة مفقودة" سماها .Dark Matter
ثم جاء **سول بيرلموتر** و**برايان شميدت** و**آدم ريس** (الحائزون على نوبل 2011) ليؤكدوا أن تمدد الكون يتسارع، بفضل قوة مجهولة أطلقوا عليها .Dark Energy

قال الفيزيائي **جيمس بيبلز – (James Peebles)** رائد علم الكونيات الحديث – في خطاب نوبل 2019:

"نحن نعيش في كون يحكمه أمر مجهول... الجزء الأكبر منه غير منظور لنا ولا نفهمه."

شبكة الألوكة www.alukah.net

القرآن أشار إلى أن السماء "بناء": **وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا"** [الشمس: 5].
والبناء لا يكون إلا من لبنات تمسكه. المادة المظلمة اليوم هي "الإسمنت الكوني" الذي يحفظ المجرات من التفكك.

وقال تعالى: "**كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ**" [يس: 40].
والسباحة لا تكون إلا في وسط. والوسط هنا هو "نسيج كوني" ممتد، شبّهه العلماء بال **Cosmic Web**، شبكة هائلة من الخيوط المجرّية المترابطة بالمادة المظلمة.

وفي الحديث الحسن في السنن وغيرها قال ﷺ: "ما في السماء موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجدًا لله" [
فبينما يتصور بعض الناس السماء فراغًا مظلمًا، يخبرنا الحديث أنها مأهولة بالملائكة، وهو ما يلتقي مع صورة الكون الحديث: فضاء ممتلئ بالمادة والطاقة والحركة.

و مع إطلاق **تلسكوب جيمس ويب الفضائي (JWST)** عام 2021، بدأت الإنسانية ترى صورًا غير مسبوقة للكون البعيد. لقد كشف لنا عن **عناقيد مجرية مترابطة بخيوط دقيقة**، وهي أول مشاهد مباشرة لما يسميه العلماء "النسيج الكوني".
هذه الصور جعلت فرضية "شبكة الكون" واقعًا بصريًا، وأظهرت أن المجرات ليست موزعة عشوائيًا، بل كأنها **تسبح في نهر كوني واحد**.

أليس هذا تعبيرًا معاصرًا عن قوله تعالى: **"كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ"**؟

لو كنا نخاطب فيزيائيًا مثل **ستيفن واينبرغ** أو **نيل ديجراس تايسون**، لقلنا:

أنتم تقولون إن **95%من الكون غامض** لا نعرف حقيقته.

والوحي قال: "**وما أوتيتم من العلم إلا قليلا**" [الإسراء: 85].

أنتم تتحدثون عن "نسيج كوني" تسبح فيه الأجرام.

والوحي قال: "**كل في فلك يسبحون**".

أنتم تبحثون عن القوة الخفية التي تمسك البناء الكوني.

والوحي قال: "**والسماء وما بناها**".

إذن، ليست السماء فراغًا بلا معنى، بل بناء محكم، نسيج ممتلئ بالمادة والطاقة، مأهول بالملائكة، وممسوك بقدرة الله.

وكلما كشف العلم عن "المجهول"، ازداد صدق الكلمة الخالدة:

"**وما أوتيتم من العلم إلا قليلا**."

تنويه واجب: من بيت الحكمة إلى معامل أوروبا

حين يُذكر التقدّم العلمي، تتجه الأنظار إلى أسماء مثل **نيوتن** و**آينشتاين** و**هابل**، وكأن الحضارة بدأت من الغرب.

لكن قليلًا من يتذكّر أن هؤلاء وغيرهم وقفوا على أكتاف أجيال سابقة من العلماء.

تسلسل الحضارات العلمية

الرياضيات الأولية، الطب، والهندسة المعمارية (الأهرامات) : **مصر القديمة (وادي النيل)**

الفلك وحسابات الكسوف والخسوف: **البابلية والآشورية**

الهندية: مفهوم الصفر والجبر الأولي وبعض تقنيات الطب

اليونانية: الفلسفة الطبيعية، طب أبقراط وجالينوس، هندسة إقليدس

الإسلامية: **(من القرن 2هـ)** جمعت علوم ما قبلها، طوّرتها، ثم نقلتها إلى أوروبا

النهضة الأوروبية: قامت على ما ورثته من المسلمين، وأضافت الثورة الكوبرنيكية والنيوتونية والكوانتية

قال المستشرق **جون درابر**:

"لم تكن هناك في العصور الوسطى أمة متحضّرة بحق إلا المسلمين... فقد حفظوا العلم وطوّروه ونقلوه إلى أوروبا، وهم الذين أيقظوا الغرب من سباته الطويل."

أعظم إنجازات العلماء المسلمين

الطب

الرازي: أوّل من ميّز بين الجدري والحصبة، واستخدم الكحول في التعقيم

ابن سينا : القانون في الطب ظل المرجع الأساسي في أوروبا 600 سنة

ابن النفيس: مكتشف الدورة الدموية الصغرى

: "**الزهراوي**: أبو الجراحة"، وصاحب أطلس طبي فيه أكثر من 200 أداة جراحية

الفلك

البيروني: قاس محيط الأرض بدقة مدهشة.

ابن الشاطر: نموذج فلكي سبق كوبرنيكوس.

الفرغاني: شرح حركات الكواكب والنجوم بدقة.

الرياضيات والهندسة

الخوارزمي: مؤسس علم الجبر، ومنها جاءت كلمة .Algorithm

ابن الهيثم: مؤسس علم البصريات الحديث.

الكاشي: طوّر الكسور العشرية واستخدمها في الفلك.

الميكانيكا والهندسة التطبيقية

بنو موسى بن شاكر: كتاب الحيل، وفيه أكثر من 100 جهاز ميكانيكي، منها تحويل الحركة الدائرية إلى مستقيمة.

الجزري: كتاب الجامع بين العلم والعمل النافع في صناعة الحيل، وفيه مضخات وساعات وآلات دقيقة، وابتكر **عمود المرفق(Crankshaft)**)، وهو أساس المحركات الحديثة.

الكيمياء والذرة

جابر بن حيان: مؤسس الكيمياء التجريبية، اكتشف الأحماض (الكبريتيك، النيتريك، الهيدروكلوريك).

وضع أسس التقطير والتبلور والترشيح.

الأحياء والتشريح

دراسات عن انتقال الأمراض (الرازي، ابن سينا).

ابن البيطار: جمع 1400 وصفة نباتية وطبية.

الجغرافيا والخرائط

الإدريسي: رسم خريطة العالم بدقة، اعتمدها البحارة الأوروبيون.

المسعودي: وصف المحيطات والتيارات البحرية.

حين صمّم **الجزري** (ت 602هـ/1206م) مضخاته وساعاته الميكانيكية، ابتكر **عمود المرفق (Crankshaft)**الذي يحوّل الحركة الدائرية إلى مستقيمة والعكس. هذا الابتكار البسيط في شكله، كان جوهر كل محرك تالي في التاريخ.

انتقل المفهوم إلى أوروبا عبر الترجمات اللاتينية لكتب الجزري وبني موسى.

في عصر النهضة استُخدم في آلات النسيج والمضخات.

وفي الثورة الصناعية صار الأساس في **الموتور البخاري** ثم **محرك الاحتراق الداخلي**.

اليوم، لا تعمل أي سيارة أو طائرة أو ماكينة بدون هذا المبدأ الذي وضع بذوره **المهندسون المسلمون** قبل قرون.

ثم جاءت النهضة الغربية **لا من فراغ**، بل على أساس هذه التراكمات. ولو تتبعتَ تسلسل الحضارات إلى الوراء، لوجدته ينتهي عند أصلٍ رباني:
"**وعلّم آدم الأسماء كلها**" [البقرة: 31].

عندما تأسست أول جامعة أوروبية (بولونيا – 1088م)، كانت مكتبة **قرطبة** تضم أكثر من **400ألف كتاب**.

بينما كانت أوروبا تعيش في "العصور المظلمة"، كان في **بغداد** و**فاس** و**دمشق** و**القاهرة** مدارس ومستشفيات ومراصد فلكية متقدمة.

وأولى الجامعات الأوروبية استلهمت نموذجها من **الزيتونة** في تونس، و**الأزهر** في القاهرة، و**قرطبة** في الأندلس.

وفي بغداد، كان بيت الحكمة يجمع العلماء والمترجمين والفلكيين والأطباء، تُترجم فيه علوم اليونان والهند، وتُكتب فيه مؤلفات جديدة بالعربية، وتُجرى فيه مناظرات علمية تُعدّ الأسبق من نوعها في التاريخ.

هناك قاس البيروني محيط الأرض بدقة، ووضع ابن الهيثم أسس البصريات، وألّف الرازي وابن سينا مراجع طبية خالدة.

هذه الكتب عبرت إلى الأندلس وصقلية، ومنها إلى أوروبا، فأيقظت العقل الغربي من سباته.
فما كان لمعامل غاليليو ونيوتن وكوبرنيكوس أن تزدهر لولا مخطوطات علماء الإسلام، التي نُسخت في طليطلة وساليرنو قبل أن تُدرّس في أوكسفورد وباريس.

وهكذا، من بيت الحكمة في بغداد إلى معامل أوروبا، انتقلت شعلة المعرفة، لتشهد بأن العلم ليس ملكًا لأمة واحدة، بل ميراث إنساني متراكم، جذوره ضاربة في الوحي والسماء، وفروعه ممتدة في عقول البشر إلى اليوم.
"فالعلم الحديث لم يبدأ من كامبريدج وأوكسفورد، بل من بغداد وقرطبة، ثم سار في رحلة طويلة تشهد بأن المعرفة ميراث إنساني متراكم"؟

ووسط ضجيج المختبرات والأقمار الصناعية، نغفل عن قوله تعالى: {وما أوتيتم من العلم إلا قليلًا} [الإسراء: 85].

المعادلات العظمى وحدود العلم البشري

إن كل ما قامت عليه الثورة العلمية الحديثة – من قوانين نيوتن إلى النسبية إلى معادلة شرودنغر – يمكن تلخيصه في **سبع عشرة معادلة أساسية فقط**، كما عرضها الفيزيائي الأمريكي **ليونارد ساسكايند** في سلسلة كتبه .The Theoretical Minimum

هذه المعادلات، رغم بساطتها العددية، تختزل كل ما نراه من كواكب وذرات وأمواج ضوء وحركة أجسام.
ويمكن كتابتها جميعًا على **ورقة A4 واحدة!**

رقم	المعادلة	ماذا تشرح للقارئ العادي؟
1	$F = ma$ (قوانين نيوتن)	تشرح ليه الكورة بتجري أسرع لو ركلتها بقوة أكبر.

2	قانون الجاذبية	يفسر ليه أي شيء بيقع على الأرض، وليه القمر بيدور حوالينا.
3	$E = mc^2$ (آينشتاين)	تقول إن الكتلة والطاقة شيء واحد – وهي أساس الطاقة النووية.
4	معادلات ماكسويل	تشرح ليه عندنا كهرباء وإنترنت وراديو وضوء.
5	معادلة شرودنغر	تفسر سلوك الإلكترونات في الذرة – السبب إن الكمبيوترات تشتغل.
6	مبدأ عدم اليقين لهايزنبرغ	يوضح إننا ما نقدرش نعرف مكان الإلكترون وسرعته بدقة في نفس اللحظة.
7	معادلة بولتزمان ($S = k \log W$)	تشرح ليه كوب الشاي يبرد مع الوقت وما يرجعش يسخن لوحده.
8	معادلات النسبية العامة	تصف ليه الضوء بينحني حوالين الشمس وليه الجاذبية قوية.
9	اللاجرانجية (Lagrangian Mechanics)	طريقة مختصرة لحل أي مسألة فيزيائية من حركة الكواكب للسيارات.
10	قوانين حفظ الطاقة والزخم	تقول إن الطاقة ما بتضيعش – تتحول من شكل لآخر فقط.
11	المعادلة الموجية الكلاسيكية	تشرح ليه الصوت بيتحرك في الهواء وليه البحر بيعمل أمواج.
12	قانون كولومب	يوضح ليه الشحنات الكهربائية تتجاذب أو تتنافر.
13	قوانين فاراداي وأمبير	أساس فكرة المولدات – ليه نحرك سلك في مجال مغناطيسي يولّد كهرباء.
14	معادلة ديراك	توحّد الكم مع النسبية – وتنبأت بوجود البوزيترون (مضاد الإلكترون).
15	المعادلة الأساسية للديناميكا الحرارية	تشرح العلاقة بين الحرارة والضغط وحركة الغازات.

16	قوانين بلانك للإشعاع	أساس فهم الضوء والليزر والأشعة تحت الحمراء.
17	قوانين الاحتمال الكمومي	تفسر ليه الجسيمات الصغيرة "تتصرف كأنها غامضة" وتخضع للاحتمال.

ورغم قوة هذه القوانين، فإنها **لا تجيب عن الأسئلة الكبرى**:

لماذا هذه المعادلات بالذات هي التي تحكم الكون؟

من الذي وضعها؟

ولماذا يمكن لعقل الإنسان أن يفهمها أصلًا؟

فالفيزياء تصف "كيف يسقط التفاح"، لكنها لا تستطيع أن تقول "من زرع الشجرة" ولا "لماذا توجد تفاحة أصلًا".

هنا يظهر عمق قول الله تعالى: **"وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا"** [الإسراء: 85].

فلو كانت أعظم إنجازات البشرية كلها تختصر في 17 معادلة، مكتوبة على ورقة واحدة، ثم تقف عاجزة أمام سؤال "الغاية" و"المصدر"، فإن هذا وحده دليل على محدودية العلم البشري مهما بلغ.

وقد عبّر الفيزيائي **يوجين ويغنر** (**Eugene Wigner**) عن هذه الحيرة في مقالته الشهيرة The Unreasonable Effectiveness of Mathematics in the Natural Sciences (1960))، حيث تساءل:

لماذا الرياضيات – وهي من ابتكارات العقل البشري – تنطبق بهذه الدقة المذهلة على الكون الخارجي؟

وكأن العلم نفسه يعترف بأن وراء هذه القوانين قوة أعظم، هي التي أودعتها في الكون ويسّرت للإنسان فهمها.

الإيمان الحق لا يُقصي العقل، بل يخاطبه، والقرآن لم يكتفِ بالنداء إلى القلوب، بل فتح باب البرهان:

"سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق" [فصلت: 53]

وإذا كان الكون مليئًا بالثوابت الدقيقة، والوعي الممتد، والأنظمة المحكمة، فإنها كلها آيات ناطقة تدعو من تأمّلها إلى الإيمان، لا بالإكراه... بل بالبصيرة.

"وفي كل شيء له آيةٌ تدل على أنه واحدُ"

من الوعي إلى النهضة

وختامًا: هذه نافذة صغيرة على بحر من الشواهد، التي تؤكد أن العقل الصادق لا يتعارض مع الإيمان، وأن العلم المتواضع لا يفرّ من الله، بل يدل عليه.

"وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها" [النمل: 93]

فيا شباب الأمة، إن الوعي بهذه الحقائق ليس غاية في ذاته، ولا مجرد ترفٍ معرفي يُدهشنا أمام عظمة الكون. بل هو نداءِ تكليف: أن نستعيد موقعنا الطبيعي في قيادة الحضارة.

لقد جمع أسلافنا بين الإيمان الذي يهدي القلوب، والعلم الذي يفتح العقول، والاجتهاد الذي يعمّر الأرض، فصاروا قادة العالم في وقتٍ كانت أوروبا غارقة في الظلمات. واليوم، لا عودة لنا إلى موقع الريادة إلا إذا اجتمعت فينا هذه الركائز نفسها:

إيمانٌ راسخ يرى في كل آية كونية، دليل على الله.

علمٌ متين يستوعب أدوات العصر، من الفيزياء الكونية إلى الذكاء الاصطناعي ويبدع في استخدامها.

اجتهادٌ صبور يكدّ ولا يكلّ، كما جدّ الرازي وابن الهيثم والخوارزمي.

إصرارٌ لا ينكسر أمام العقبات، مؤمنًا أن هذه الأمة لم تُخلق للتبعية بل للقيادة.

إن كل صورة من تلسكوب جيمس ويب، وكل معادلة تصف الكون، وكل نظرية عن الوعي والمادة والطاقة، ليست إلا جرس تنبيه بأن ميراث {وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا} ما زال قائمًا فينا، وأن الله وضعنا في قلب معادلة الوجود لا على هامشه.

فلنحوّل هذا الوعي إلى عمل، وهذا الإيمان إلى مشروع، وهذا العلم إلى نهضة. عندها فقط نكون حقًّا قد صدّقنا قوله تعالى: "سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ" [فصلت: 53].